القيم الروحية في ظل المتغيرات الحضارية

إعداد

د.مرام منصور حمزة زاهد

الأستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية

في كلية الشريعة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

القيم الروحية في ظل المتغيرات الحضارية

مرام منصور حمزة زاهد
قسم الثقافة الإسلامية ، كلية الشريعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية .
البريد الإلكتروني: mmzahid@imamu.edu.sa

ملخص البحث :

هذه الدراسة تبين أهمية القيم الروحية ودورها في تقوية الفرد والمجتمع على قيام حياتهم على الدين الذي فطر الله تعالى الناس عليه في ظل المتغيرات الحضارية، فالعالم في ظل هذه المتغيرات الحضارية لهو في أشد الحاجة إلى الموازنة وانتهاج منهج الاعتدال في كل وجه من أوجه القيم الروحية والمادية، فقد ظلت منظومة القيم الروحية حيَّة في النفوس مستقرة في الوجدان عند جميع الناس بمختلف أعراقهم ومعتقداتهم، إلى أن أضعفها الانفتاح على العالم وطغت عليها القيم المادية واختلطت المفاهيم والأفكار والعقائد.

تكمن أهمية الدراسة في أنها تلبي حاجة المسلمين للقيم الروحية والعودة للتمسك بها في ظل هذه المتغيرات الحضارية التي أقلقت العالم وغيرت مسار الحياة في كافة مناحيها، فهي تذكير بما جاء في الدين الحنيف وحثت النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة عليها في المعاملات والعبادات، والدعوة للعودة لهذا الميراث العظيم والتمسك به.

وأيضا توضح هذه الدراسة أهمية الدور الذي تؤديه القيم الروحية في نمو الحياة الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والأمنية بشكل إيجابي، فهي تساعد على التواصل الإنساني وتحقيق التقارب والوئام والوحدة والتضامن بين البشر وتأمين الرقابة الذاتية وتحقيق الصحة النفسية والعقلية مما تحققه للبشرية من الأمن النفسي، وتساهم كذلك في انضباط الفرد والمجتمع وتحقيق المثل العليا في معاملة الناس مع المتغيرات الحضارية.

الكلمات الدلالية: القيم ، الروح، الحضارة .

Spiritual values in light of the civilizations variables

Maram Mansoor Hamza Zahid

Department of Islamic Culture ,College of Sharia , Imam Muhammad bin Saud Islamic University, Riyadh, Saudi Arabia .

E-mail : mmzahid@imamu.edu.sa

Abstract:

This study shows the importance of spiritual values and their role in strengthening the individual and society to base their lives on the religion that God Almighty created people with in light of civilizational changes. The system of spiritual values remained alive in the souls and stable in the conscience of all people of different races and beliefs, until openness to the world weakened it, it was overshadowed by material values and concepts, ideas and beliefs became mixed.

The importance of the study lies in the fact that it meets the Muslims' need for spiritual values and a return to adhere to them in light of these civilizational changes that have worried the world and changed the course of life in all its aspects. It is a reminder of what came in the true religion in dealings and acts of worship, and the call for this great inheritance and adherence to it. This study also shows the importance of the role that that spiritual values role it plays in the positive growth of social, economic and contributes to the discipline of the individual and society, and the achievement of ideals in dealing with people with civilization changes.

Keywords:Values , Spirit , Civilization.

المقدمة

إن المتأمل في حياة البشر سيجد أن كل حضارة إنسانية رائدة لابد أن تجمع بين مطالب المادة والروح، وأن فقدان أحدهما ممكن أن يكون أحد أسباب ضعف تلك الحضارة وزوالها، ولعلَّ ما تعاني منه الدول الإسلامية اليوم في ظل المتغيرات الحضارية من ضعف حضاري، إنما هو بسبب التغيير والانحراف الذي طرأ على القيم الروحية فيها، فإن الناظر في واقع حياة الناس اليوم سيعلم حينها مدى الحاجة لإحياء القيم الروحية في ظل هذه المتغيرات الحضارية والتقدم المادي.

إن ما دعاني للبحث في هذا الموضوع هو أن المرء حينما يقلب مواقع التواصل الاجتماعي ويرى حياة الشباب وانخراطهم في حياة المشاهير ومتابعة تفاهة حياة البعض الذين يقومون بتوثيقها، سيعلم حينها حجم المشكلة التي تواجه شباب أمة الإسلام، فيعجب حينها من انتكاسة حياة البعض وتقهقرهم، وبُعد الكثير منهم عن الدين الذي هو النور الذي جعله الله في تلك المشكاة.

وفي كل الأحوال لا أحد ينكر حقيقة أن التقدم الحضاري والتقني الهائل الذي يشهده الناس في هذا الزمن يسهل فقط على حصول رفاهية الإنسان من الناحية المادية، لكنه في حقيقة الأمر يشكل عامل ضغط مستمر على قيم الإنسان وحياته الروحية لدرجة أن منظومة القيم الروحية فسد أكثرها أمام هذا الضغط المستمر والمتنامي.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

١. حاجة المجتمع الإسلامي إلى تحقيق التوازن والاعتدال في كل مظهر من مظاهر القيم الروحية والمادية.
٢. كثرة المتغيرات والتحديات التي تواجه القيم في العصر الحاضر، مما يستدعي تكثيف الدراسات حول الأساليب المناسبة في تعزيز القيم الروحية.
٣. إحياء القيم الروحية في نفوس الجيل الصاعد والدعوة للتمسك بها من جديد.

إشكالية البحث:

شهدت مجتمعاتنا الإسلامية في الوقت الحالي تنامي ظاهرة استخدام تقنيات وسائل التواصل الاجتماعي في ظل هذه المتغيرات الحضارية، وبناء على ما تقدم ممكن نحصر مشكلة البحث عن أثر هذه المتغيرات الحضارية على القيم الروحية في نفوس شباب أمة الإسلام.

أسئلة البحث: ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس عدة فرعية على النحو التالي:

ما المقصود بالقيم الروحية؟

وما أثر الانخراط في المتغيرات الحضارية على القيم الروحية؟

كيف نحيي هذه القيم الروحية في النفوس من جديد؟ وما الآثار المرتبة على التمثل بها؟

ويأتي هذا البحث للإجابة على هذه الإشكالية ببيان مفهوم القيم الروحية، وإبراز أهميتها ووجودها في ظل هذه المغيرات الحضارية التي اجتاحت العالم بأسره، ودعوة الجيل الصاعد للعودة لها والتمسك بها وإحيائها في النفوس بعد إخباتها، وتأصيل ذلك من الكتاب والسنة.

أهداف البحث:

١.إبراز أثر إحياء القيم الروحية في نفوس الشباب ومخاطر البعد عنها.
٢.الكشف عن الأساليب الممكنة لإعادة إحياء تلك القيم الروحية في النفوس.

الدراسات السابقة وما يضيفه البحث إليها:

وجدت دراسة تكلمت عن: **أثر القيم الروحية في الشعائر التعبدية** للدكتور محمد حلمي عبد الوهاب كانت تتحدث عن القيم الروحية في الشعائر التعبدية فقط.

ودراسة ثانية بعنوان: **إحياء القيم الروحية في ظل جائحة كورونا** للأستاذة ندى بكري الزبير كانت تتكلم عن أهمية بث قيم التعاون والتكاتف في ظل جائحة وكورونا وهو في غير مسار بحثي.

ما يضيفه البحث:

استنباط الطرق لإحياء هذه القيم الروحية في نفوس الشباب من جديد وتنزيلها للواقع التربوي.

حدود البحث:

حدود البحث الموضوعية: مفهوم القيم الروحية وطرق إحيائها في النفوس من جديد.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع اتباع المنهجين التاليين:

١-المنهج التحليلي وذلك بتحليل الواقع المعاصر وبعد الشباب عن تلك القيم، وتحليل آثار تفعيل هذه القيم الروحية في المجتمعات.
٢-المنهج الاستنباطي وذلك باستنباط بعض الأساليب لإعادة إحياء تلك القيم الروحية في النفوس.

خطة البحث:

ينقسم البحث إلى مقدمة ومبحثين، تحت كل مبحث مطلبين.

المقدمة: وتتضمن أهمية البحث وإشكاليته وأهدافه وحدوده والدراسات السابقة وخطة البحث.

المبحث الأول: مفهوم القيم الروحية وأهميتها في الحياة البشرية

المطلب الأول: مفهوم القيم الروحية

المطلب الثاني: أهمية القيم الروحية في الحياة البشرية

المبحث الثاني: مظاهر تحقيق القيم الروحية وآثارها

المطلب الأول: مظاهر تحقيق القيم الروحية وتجلياتها

المطلب الثاني: آثار القيم الروحية

المبحث الأول

مفهوم القيم الروحية وأهميتها في الحياة البشرية

اهتم دين الإسلام بالجانب الروحي للإنسان، وهو الأمر الذي يتجلّى في الخطاب الرباني في كتاب الله العزيز، وتبعتها السنة النبوية كذلك في التركيز على الأخلاق وحث الإنسان عليها، ومن هنا باستطاعتنا معرفة ماهي ماهيَّة القيم الروحية في الدين الإسلامي، فالمقصود بهذا المبحث فهم حقيقة القيم الروحية في الإسلام ومدى أهمية وجودها في الحياة الإنسانية، وسوف يتم التفصيل عن ذلك في المطالب الآتية.

المطلب الأول

مفهوم القيم الروحية

١-القيمة لغةً:

القيمة واحدة القيم، وأصله الواو ق و م، يقال: قوّمت السلعة أي ثمنتها فقيمة الشَّيْء قدره وَقِيمَة الْمَتَاع ثمنه، وتأتي كذلك بمعنى الاستقامة والاعتدال، فعندما نقول: قومت الشيء فهو قويم أي مستقيم، ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ [١] أي استقيموا في التوجُّه إليه سبحانه دون الآلهة، كذلك يُقَال مَا لفُلَان قيمَة أي: مَاله ثبات ودوام على الْأَمر.[٢]

وهذه المعاني اللغوية كلها يشملها مفهوم القيم الذي نحن بصدده في هذا البحث فالقيم الروحية تزيد من القدر عند البشر وهي كذلك سبب للثبات على نمط محدد من السلوك فتعين الإنسان على الاستقامة والاعتدال لأنها مقومة للسلوك ومهذبة له.

٢-القيم اصطلاحاً:

عرفت القيم اصطلاحا بعدة تعريفات منها:

-"صفة عينية كامنة في طبيعة الأفعال والأقوال والأشياء، ومادامت كامنة في طبيعتها، فهي ثابتة لا تتغير بتغيُّر الظروف والملابسات".[٣]

---

[١] [فصلت:٦].
[٢] انظر: الصحاح تاج اللغة لأبي نصر الفارابي (٢١٧/٥)
[٣] المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص ١٥١.

-"مجموعة العقائد والتراث والمفاهيم المجتمعية والآداب التي تظهر في سلوك الأفراد والجماعات وعلاقاتهم ببعضهم غير القائمة على النفعية أو المصالح المباشرة".[١]

-"هي المعايير الثابتة الخالدة، التي تمثل موازين صلاح الأفعال والأشياء والأفعال".[٢]

لو أمعنا النظر في التعريفات السابقة وجدنا عناصر مشتركة تتردد فيها فسنجد أنها عبارة عن معيار أو مقياس وأنها ممكن أن تسهم في تحقيق التكامل، وهذا المعنى كذلك متحقق عندما نذكر القيم الروحية.

٣- الرُّوح لغةً:

الروح: الراء والواو والحاء أصل كبير مطَّرد، يدل على سعة وفسحة واطِّراد، والرُّوح بالضم: النَّفْس التي يحيا بها البدن يقال: خرجت روحه أي: نفسه، وهو يذكر ويؤنث؛ لأن العرب تذكِّر الروح، وتؤنث النفس، وجمعه الأرواح، وهي كذلك بمعنى الرحمة كما قال تعالى في حق عيسى عليه السلام: ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [٣]، وهي بفتح الراء (رَوح) بمعنى الرائحة الطيبة[٤]، والمعنى الأول هو مرادنا في هذا البحث.

٤-الرُّوح اصطلاحا:

"جسم لطيف خلقه الباري تعالى وأجري العادة بأن الحياة لا تكون مع فقده، فإذا شاء الله موته أُعدم هذا الجسم منه عند إعدام الحياة"[٥].

فهي بهذا المعنى شيء موجود داخل جسد الإنسان وكياني الداخلي، فيتماشى هذا المعنى مع المعنى اللغوي المختار.

فنخرج من هذا إلى أن نعرف القيم الروحية بأنها:

القيم التي تخاطب باطن الإنسان وكيانه الداخلي[٦]، وتنظم علاقته بالله تعالى وتحدد صلته به سبحانه وتعالى فتسمو بالروح وترتقي مما يسهم ذلك في تنظيم علاقته بنفسه ومجتمعه.

---

[١] إحياء القيم الروحية حصن من وباء كورونا أ.ندى الزبير ص ٤ .
[٢] العطاء الحضاري للإسلام، د. محمد عمارة، ص ١٥٤.
[٣] [النساء آية ١٧١].
[٤] ينظر: لسان العرب لابن منظور، (٤٢٦/٢) مادة روح .
[٥] كتاب كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهاناوي (١٧٧/١).
[٦] كالتوبة والإخلاص والتوكل والصبر والشكر والرضا والصدق وغيرها من القيم الروحية .

وإنما نعني هنا إحياء هذه القيم الروحية والتي تخاطب كيان الإنسان وباطنه في ظل هذه المتغيرات الحضارية والتطورات الهائلة في تكنولوجيا الاتصالات والتقدم التقني والمعلوماتي الذي ساد على كيان الإنسان المعاصر.

المطلب الثاني

أهمية القيم الروحية في الحياة البشرية

الإنسان جسد وروح ولكل منهما طبيعته ومطالبه وغاياته وإذا لم يفلح المرء في التوفيق بينهما عاش شقيا، يقول الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾[1]، فالله سبحانه وتعالى جعل من أبرز سمات الجسم المادي الحركة والنمو، والقوة والضعف، كما جعل سبحانه العلم والتفكير والإرادة والحب والبغض والإيمان والطمأنينة من أبرز السمات الخاصة للروح، وأخضع سبحانه وتعالى للإنسان جميع المقومات التي لها بالغ الدور في عناية قيمه الروحية والمادية على السواء، حيث أخضع له سبحانه المقومات لتحقيق حاجاته المادية من مشرب ومطعم وملبس، كما دلَّه إلى الطرق التي يرتقي بها بروحه، فلا تستقيم حياة الإنسان إلا إذا وازن بين متطلبات القيم الروحية و المادية، فالدين الحق يعرف لكل منهما حقه فلا يعمل على أن يطغى أحدهما على الآخر، وهكذا كان شأن الإسلام فلم يغفل الجسد ولا الروح بل أباح لنا أن نتمتع في اعتدال بما رزقنا الله به وأودعه لنا من خيرات في ظاهر وباطن هذه الأرض:﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾[2]

فالإنسان اليوم لابد أن يسعى للموازنة و الاعتدال في كل مقوم من مقومات القيم الروحية والمادية، فالله سبحانه وتعالى يقول﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[3]

---

[1] [ص: ٧٢-٧١] .
[2] [الأعراف: ٣٢].
[3] [القصص: ٧٧].

وهذا يعني حاجة الإنسان لقيم تُهذّب نفسه وتنظم روحه- دون إهمال لحاجات الجسد ومتطلباتها- وتوجهها اتجاهًا صحيحًا يحقق لها سعادتها الذاتية وينظّم علاقتها بالآخر، الأمر الذي يساهم في الارتقاء بالمجتمعات.

لكن في ظل ما نشاهده اليوم نجد أن البعض قد فتنتهم المتغيرات الحضارية التي نعيشها اليوم، فتناسوا خير ما في الإنسان وهو الروح، وتناسوا ما للقيم الروحية من أثر في الحياة لا يقادر قدره، فأصبح البعض ينظر أن تحقيق السعادة مرتبط بالحصول على أكثر كمية ممكنة من الحصول على اللذات الحسية، وتحقيق الإشباعات المادية.

ومثل هذه العقلية يمكن اعتبارها أنها تتسم بقصر النظر؛ لأنها تحول الناس لاستغلال البيئة بكل طريق لإشباع حاجاتهم بصورة طفيلية وكأن العالم ببساطة لم يوجد إلا لسد حاجات الجسد من مطعم ومشرب وجنس ولهو وترفيه وتحقيق كل ما له صلة بشهوات البطن والفرج.

إني لا أهدف من خلال هذا البحث إلى إنكار ما في الحياة المادية من طيب الأثر الذي تركته على الإنسان وعلى تقدم العلم والحضارة والإنسانية، فلا أحد ينكر حقيقة أن التقدم الحضاري والتقني الهائل الذي يشهده الناس في هذا الزمن يُسهّل للحصول على رفاهية الإنسان من الناحية المادية، لكنه في حقيقة الأمر يشكل عامل ضغط مستمر على قيم الإنسان وحياته الروحية لدرجة أن منظومة القيم الروحية فسد أكثرها أمام هذا الضغط المستمر والمتنامي[١] مما يستدعي أن نبين ما للأثر القوي للقيم الروحية في تقدم الحياة البشرية وتعاونها وتآخيها.

إن المتأمل في واقع حياة البشر اليوم سيعلم مدى الحاجة لإحياء القيم الروحية في ظل هذه المتغيرات الحضارية والتقدم المادي، ولعل أكثر ما دعاني للبحث في هذا الموضوع هو أن المرء حينما يقلب مواقع التواصل الاجتماعي ويرى حياة الشباب وانخراطهم في حياة المشاهير ومتابعة تفاهة حياة البعض الذين يقومون بتوثيقها لَيَعْلم حينها حجم المشكلة التي تواجه شباب أمة الإسلام فيعجب حينها من انتكاسة حياة البعض وتقهقرهم، وبُعد الكثير منهم عن الدين الذي هو النور الذي جعله الله في تلك المشكاة، ومقاربة الكثير من النزعات المادية الدنيوية التي لا ترى في الشخص إلا إشباع حاجات جسده وإشباع حاجاته المادية دون أن تتخطاها إلى رحابة عالم الروح!، فالعالم محتاج جدا إلى أن يحقق التوازن بالتزام الاعتدال في جميع مظاهر القيم الروحية و المادية دون إجحاف في جانب دون الآخر.

[١] ينظر: جدلية الدين والقيم د.محمد حلمي عبدالوهاب ص٢٨.

إنّ التقدّم العلمي والحضاري اليوم أدى إلى طغيان القيم المادية وسيادتها في علاقات الإنسان وسلوكه وتلاشي القِيم الروحية الزكية، وإذ لم نسعى لعودة القيمة الروحية وتأثيرها في حياة الأفراد، فإنّ هذا الأمر يكون مهددا لزوال الحضارات حتماً؛ حيث إنّ التفوق المادي وحده لن يُسهم في استمرارها، فمتى طغت القيم المادية على القيم الروحية أصبحت الحياة بلا هدف، وهو الأمر الذي يؤدي إلى شقاء الإنسان قال الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾[1].

إن الرقي المادي الذي حققه الإنسان المعاصر في ظل هذه المتغيرات الحضارية، لم يساهم في إسعاد البشرية، بل إنه من المؤسف أن نرى التعاسة في أماكن كثيرة من مجتمعاتنا الإسلامية، فالمجتمعات الإسلامية بحاجة إلى للعودة إلى القيم الروحية التي وجدت مع الإنسان وبقيت معه طيلة مراحل حياته، ومع أن هناك الكثير من الناس في حاضرنا لا يدرك معنى هذه القيم الروحية بمفهومها العميق إلا أنه لازال هناك الأمل في أن يعود الناس للنظر في فهمها وأهدافها المرجو تحقيقها على المدى البعيد ، وأن لا يكتفي الناس بالأمور المادية فقط ؛ لأنها في حقيقة الأمر لا تمثل الغاية من هذه الحياة وإنما هي مجرد وسيلة فقط[2]، لأنه مهما اكتفت البشرية بكل إنتاج مادي أنتجته سيؤدي أمرها هذا إلى هوانها وذلها لأن القيم الروحية هي التي تجعل الإنسان إنسانا وترفعه عن مستوى البهائم.

فنخرج من هذا كله أن الحضارات الإنسانية حتى تحقق الريادة لابد أن تجمع بين القيم الروحية والمادية، وأن فقدان أحدهما قد يؤدي إلى سقوط تلك الحضارات، وفي هذا السياق يبرز لنا ما قاله برتراند رسل[3] من أن عناصر الحياة البشرية تقوم على ثلاث وهي: "الغريزة والعقل والروح، وأن الحضارة الغربية اهتمت بالعنصرين الأولين ولم تهتم مطلقا بالروح، ومع أن بإمكان العقل أن يهدينا لفعل الخير والامتناع عن فعل الشر إلا أن عنصر الروح وحده هو الذي يمكننا من أن نشعر شعورًا إنسانيًا عاطفيًا قلبيًا وأن

---

[1] [سورة الشورى:٢٠]

[2] ينظر: أثر القيم الروحية محمد يوسف موسى ص ٨١، القيم الروحية وتأثيرها على المجتمعات المهنية شبكشي رضوان ، مقال في جريدة عكاظ، الاثنين ٩ فبراير ٢٠٠٩م

[3] برتراند رسل فيلسوف وعالم منطق وشخصية بريطانية ولدت عام ١٨٧٢ درس الرياضيات والفلسفة له عدد كبير من المؤلفات ونال جائزة نوبل للأدب عام ١٩٥٠ اشتهر بواقفة الداعية للسلام ووقت الحرب والأسلحة وسجن من أجل ذلك مرتين توفي عام ١٩٧٠م ، ينظر: حكمة الغرب لبرتراند رسل ترجمة فؤاد زكريا ص ٢٤٥.

نحس بإحساس الآخرين، وأنه لابد من انسجام العناصر الثلاثة وتنميتها تنمية قائمة على الانسجام حتى تسير الحياة على طريقها المستقيم "[١].

ويدعم ما سبق ذكره نظرية سوروكين[٢] التي ذكرها في تداول الثقافات الروحية والمادية حيث بين لنا رأي الثقافات والحضارات الكبرى المتعلقة بنظرتها للوجود والتي تتراوح بين القيم المادية والروحية وتوجهاتهما، فأظهرت لنا بوضوح ما يترتب على اختيار الحضارات لكل هذه القيم المادية والروحية من آثار اجتماعية وفكرية ونفسية وسياسية على المجتمعات، فبين سوروكين أن هناك ثلاثة من الأنماط الثقافية الرئيسية وهي: الثقافة المعنوية الزهدية التي ترى أن الحاجات الروحية للإنسان أصل لوجود الإنسان وأما الجسد فيجب إضعافه وقهره، وأن حياة الزهد والرهبانية هي أقصر الطرق للخلاص من هذه الدنيا المدنسة، وثقافة ثانية مادية حسية ترى أن تحصيل الحاجات الحسية والإشباع المادي هي غاية الوجود الإنساني، حتى يصل الإنسان فيها إلى مرحلة أسماها سوروكين المرحلة الحسية الكلبية والتي تفتقر فيها إلى أي نوع من القيم بحيث يصل فيها الناس لحاجاتهم بطرق نفعية صرفه مع التظاهر الشكلي بالالتزام القيمي الأخلاقي دون اقتناع حقيقي، وتأتي المرحلة الثالثة والتي أسمها الثقافة المثالية والتي ينظر فيها إلى العالم على أنه نتيجة للجوانب المادية والروحية، وعليها تنطلق فيها حاجات الناس إلى حاجات روحية ومادية مع تغليب الجوانب الروحية على حد قوله.

فهو يرى أن الحضارة ممكن أن تحيا في حقبة جديدة ورائعة إذا ما تمثلت بهذه الثقافة المثالية والتي متى ما عملت بها أي حضارة صححت الكثير من الأخطاء الناتجة على الاعتماد على الثقافة الحسية المادية، بحيث تكون الثقافة الروحية متداخلة معها بصورة متناغمة، وبهذا نصل إلى تخليص الحضارة الإنسانية المعاصرة.[٣]

---

[١] جدلية العلاقة بين الدين والقيم د.محمد حلمي ص ٣٢

[٢] بيترم سوروكين Pitirim A.Sorokin عالم اجتماع روسي، ولد في توريا بشمال روسيا عام١٨٨٩م، سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليصبح مواطناً فيها وأستاذاً لعلم الاجتماع في جامعة مينيسوتا، وفي عام ١٩٣٠ أسس أول قسم لعلم الاجتماع بجامعة هارفارد، وبقي رئيساً له. وفي عام ١٩٣٧ صار عضواً بارزاً في أكاديمية العلوم الاجتماعية الأمريكية ورئيساً للمؤتمر العلمي للعلوم الاجتماعية، وانتخب رئيساً لجمعية علم الاجتماع الأمريكية لعامي ١٩٦٤-١٩٦٥، أسهم في نظرية الدورة الاجتماعية وله مؤلفات عدة في علم الاجتماع توفي عام ١٩٦٨م ينظر: الموسوعة العربية (٢٢٥/١١).

[٣] ينظر: الشباب والقيم د.إبراهيم رجب ص ٥٠-٥٦ نقلا عن كتاب
Social and *Cultural Dynamics* by Pitrim *Sorokin*

فهذه الثقافة المثالية التي تضم أعلى مستوى من الكمال في الجوانب الروحية والمادية مع تغليب الجانب الروحي والذي في حقيقة الأمر يمثله التصور الإسلامي للإنسان والوجود وقيام الحضارات، لذلك إن المحلل لكلام سوروكين سيفهم حقيقة ما تعاني منه بعض الدول الإسلامية اليوم من ضعف وتخلف حضاري؛ إنما هو بسبب الانحراف والتغيير الذي طرأ على القيم الروحية فيها، فمن أمعن النظر في التاريخ الإسلامي سيُلاحظ كم كان للقيم الروحية والتمسك بها أثر في قيام عديد من الحضارات، بل كانت من أهم مقومات الحياة البشرية ونجاحها.

لذلك أصبحنا اليوم في أمس الحاجة إلى استعادة تلك القيم الروحية والتزكية الشاملة بها في حياتنا خاصة، ذلك لما تتضمنه قيم الإسلام من نزعة إنسانية عامة تؤهلها إلى تمثيل دور مهم في المستقبل المنظور على المستوى العالمي، لذلك نأمل أن تكون النجاة التي أصابت توجهاتنا الثقافية والحضارية مرهونة بالانطلاق من ثقافة تكامليه تكامل حقيقي بين العوامل الروحية والعوامل المادية وهو الأمر الذي سيجعل للمجتمعات الإسلامية قوة وازدهار على المستوى العالمي بإذن الله تعالى.

المبحث الثاني

مظاهر تحقيق القيم الروحية وآثارها

تحدثنا في المبحث السابق ما لأهمية وجود القيم الروحية في المجتمعات البشرية عامة والإسلامية خاصة، ونحن في هذا المبحث سنتناول عن بعض المظاهر التي تساعد في بناء مثل هذه القيم الروحية في شخصية الإنسان المسلم، وبعدها نخرج لذكر الآثار المترتبة من تمسك الفرد والمجتمعات بمثل هذه القيم الروحية مع القيم المادية في علاقة تكاملية دون أن يطغى جانب على آخر.

المطلب الأول

مظاهر تحقيق القيم الروحية

إن تحقق القيم الروحية في النفوس يحتاج للجمع بين تنشئة المعتقد الصحيح من جهة وتكوين الثقافة الروحية الواسعة من جهة أخرى، مع مراعاة كون أن غرس التدين الذي هو أساس القيم الروحية يتحقق بعدة أمور من بينها:

١-العناية بالقلب

محور الحياة الروحية للإنسان المسلم إنما تكمن في القلب التي يمثل الحلقة التي تربط بين الاعتقاد والمعرفة من جهة والإرادة والسلوك من جهة أخرى، ودليل ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم: ((ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب))[١].

فدل هذا الحديث على أن محل القيم من الإنسان هو القلب، فمتى قام القلب بوظيفته الروحية المتمثلة في معرفته لله تعالى ومعرفة أسمائه وصفاته فيتيقن الإنسان حينها أنه المستحق سبحانه للمحبة والعبادة والذكر، فيتغلب الإنسان حينها على كل شهوة في نفسه تحقيقا لنيل رضا الملك العلام، فتأتي أفعاله متناسقة مع كل ما يحبه الله ويرضاه، فيحيا عندها حياة كلها راحة وسكينة وطمأنينة ويعيش الناس حوله في أمن وسلام.

وأما إذا مرض هذا القلب الذي بين جنبيه، فلم يؤدي تلك الوظائف الروحية، وضعفت أو انقطعت صلته بمولاه العزيز الحكيم؛ فتأتي أفعاله السيئة فتنكت في ذلك القلب نكتا سوداء تعميه عن رؤية الحق، فلا يرى حينها الحق حقا بل ربما تجعل الإنسان

---

[١] رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه (١/ ٢٨) رقم الحديث: (٥٢)

يأنف من فعل الخير ويألف ما يضره من كل باطل فيكون هذا الأمر سببا لاضطراب حياة الإنسان ككل، فيعيش حينها حياة الضيق الداخلي والضنك والخواء الروحي بالرغم من تقلبه في زخارف الدنيا ونعيمها وكثرة ماله وجاهه وازدحام حياته بالمقتنيات المادية.

فمتى ما اعتنى الإنسان بهذا القلب وراعى في حياته وحرص على قوة الصلة بالله ظاهرا وباطنا وعلم أن الطاعة لله فيما أمر والابتعاد عمَّا نهى الله عنه وزجر كان فيه الضمان لسلامة القلب الذي بين جنبيه فينال حينها الحياة الطيبة التي وعدها الله لعباده في سورة النحل[1] فلا يفوت عليه حينها شيء من حلال الدنيا وثمار تقدمها العلمي والحضاري.

فمراعاة الإنسان لمثل هذا الأمر وتعاهده والمحافظة على سلامة وزكاة القلب الذي بين جنبيه ينمي تلك القيم الروحية في كيان الإنسان المسلم المعاصر وازدهارها في نفسه وأقواله وتعاملاته مع من حوله، يقول الله تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[2]، فتزكية ذلك القلب هي طريق لتزكية تلك القيم الروحية في نفس كل مسلم.

٢-الإكثار من العبادات والطاعات

الاهتمام بالجانب العبادي وطريقة آدائه وفق مراد الله سبحانه وتعالى له بالغ الأثر في تعزيز القيم الروحية عند الإنسان، فالمتأمل في مقاصد العبادات سيجد كيف أن تطبيق هذه العبادات وفق ما أراده الله سبحانه وتعالى من بالغ الأثر في تهذيب النفس ونماء ذلك الشعور فيها المعزز للقيم الروحية، فالإسلام جعل كثيرا من الشعائر الدينية خادمة للقيم الروحية ومرشدة لها.

فمتى ما أكثر الإنسان من آداء الطاعات وممارسة العبادات وأداها بخشوع وتضرع، جعل هذا الأمر ذلك الإنسان يشبُّ على كثير من القيم الروحية، والعكس متى ما انسحب آداء العبادات على الوجه الذي أراده الله سبحانه انسحبت تلك القيم الروحية عند الإنسان وضعفت.

فآداء الطاعات والعبادات ليس أمرا ثانويا على هامش الحياة بل هو المحور الذي يرتكز عليه نماء كثير من القيم الروحية في نفوس البشر، وهذا الأمر متجذر في كثير من الشعائر الدينية بينه الله سبحانه في كتابه العزيز، فذكر لنا سبحانه في

[1] وذلك في سورة النحل آية ٩٧.
[2] [الشمس :٧-١٠].

كثير من المواضع أن الصلاة متى ما أقيمت حق الآداء كان ذلك مدعاة لفعل الخير والبعد عن مقارفة الإثم، وذكر لنا سبحانه كم في آداء الزكاة من تطهير للنفس وتهذيبها، وذكر لنا سبحانه كيف أن عبادة الصوم تورث القلب خشية الله وهيبته واستشعار مراقبته، ووجود مثل هذه الآثار المترتبة من آداء العبادات له بالغ الأثر في تعزيز القيم الروحية عند الإنسان.[١]

٣-تدارس أسماء وصفات الله الحسنى

من واقع مشاهد ومن حقيقة جربتها بنفسي أن تدارس أسماء الله الحسنى له بالغ الأثر في إحياء القيم الروحية في النفوس وهي سبب اشتعال جذوتها في القلوب، ذلك أن معرفة العبد بأسماء الله وإدراكها في حياته تجعله يستشعر كيف تتجلى أسماؤه وصفاته سبحانه في كثير من جوانب حياته، وكيف أن الله سبحانه وتعالى يعامله بصفاته الحسنى في كثير من المواقف التي يمر بها، هذا الأمر يجعل الإيمان في قلبه يزيد، ومتى قوي الإيمان في قلبه قويت مظاهر القيم الروحية في نفسه فالعلاقة بين الإيمان والقيم والروحية علاقة اطراد.

٤-الانشغال بطلب العلم النافع

من الأمور المعينة على تحقيق القيم الروحية في النفس هو طلب العلم الشرعي النافع، والسبب في ذلك أن العلم سبيل من سبل تشكيل أفكار الإنسان والتي هي أساس العمل القلبي والعملي بشقيه فلا يتصور حدوث فعل دون أن يسبقه فكر.[٢]

وفي ذلك يقول الغزالي[٣]-رحمه الله -: "أما ثمرة الفكر فهي العلوم والأحوال والأعمال ولكن ثمرته الخاصة العلم لا غير، فإذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب وإذا تغير حال القلب تغيرت أعمال الجوارح فالعمل تابع الحال والحال تابع العلم والعلم تابع الفكر"[٤].

---

[١] ينظر: أثر العبادة التربوي في تكوين الشخصية وتحديد السلوك لأسماء علي فضل ص ٨٠-٨٥، مقال أثر العبادات في تعزيز القيم والأخلاق الفاضلة في نفس المسلم د. ماهر أحمد السوسي https://cutt.us/cTnq٤

[٢] ينظر: البناء الفكري في الحديث النبوي لمنال أبو قمر ص ٢٢.

[٣] أبو حامد محمد الغزالي، أحد أعلام عصره وأحد أشهر علماء المسلمين في القرن الخامس الهجري ولد عام ٤٥٠ه، كان له بصمة واضحة في عدّة علوم مثل الفلسفة، والفقه الشافعي، وعلم الكلام، والتصوف، والمنطق، وترك عدداً من الكتب في تلك المجالات، توفي عام ٥٠٥ه .

[٤] إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (٤٢٦/٤).

لذلك كلما كنت عالما علما تفصيليا بحقائق العلم الشرعي الذي جاء به الإسلام كلما كنت أشد به تمسكا وأقوى أثرا في أقوالك وأفعالك التي تعكس قيمك التي تؤمن بها.

فالعلم يؤثر في فكر الإنسان وعليه تنبني أفعاله لذلك كان له بالغ الأثر في تحديد نوعية القيم التي تتجلى على الإنسان في أحوال حياته بحسب ما صاغه فكره من هذا العلم، والمتأمل في الحديث النبوي يرى كيف أن النبي شبه العلم والهدى الذي أعطاهما الله له بالغيث الذي يحيي الأرض الصالحة فتنبت وتزدهر فيحدث نفس الأثر بالهدى والعلم في النفس البشرية، فقوله عليه الصلاة والسلام: ((إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير...))[1]

فدل هذا الحديث أن النفس قد تصح وتستقيم إذا سقيت بالعلم النافع الذي يزكيها، الأمر الذي يدعوها إلى الامتثال والتمسك بالقيم الروحية التي تهدي البشرية لربها، فالعلم الشرعي بهذا الاعتبار يكون وسيلة لتحقيق هذه القيم الروحية[2].

ومن هنا ينبغي على الإنسان أن يحدد بوصلة العلم النافع الذي يفتح له باب العبودية والاستقامة لربه ليحقق مجموعة من القيم الروحية التي تنغرس في باطنه فتظهر على أقواله وأفعاله، ومتى غابت البوصلة والغاية والهدف من طلب العلم النافع كانت سببا في ضعف ظهور مثل هذه القيم الروحية في نفس وسلوك، فالعلم الشرعي النافع هو الحامل للاستقامة على مثل هذا المعنى.

٥-التوظيف الإيجابي في متابعة مشاهير وسائل التواصل

هذه النقطة أراها تابعة للنقطة السابقة فقد بينت سابقا أن العلم الذي يتلقاه الإنسان هو الذي يشكل فكره وهذا الفكر ينعكس على قيمه التي تظهر على شكل سلوك يمارسه الإنسان في حياته اليومية، ومن هنا أرى أن متابعة مشاهير التواصل الاجتماعي وما يطرحونه في حساباتهم قد يكون أحد مصادر العلم التي تشكل فكر الإنسان، فمتى كان الإنسان مولعا في متابعة حسابات المشاهير التي تنصب حياتهم في الأمور المادية وتحقيق الشهوات الحسية فقط، هذا الأمر يجعله ينعكس على فكر الإنسان ومن ثم تجعل القلب مولغ في حب حصاد مثل ذلك فتسود القيم المادية عنده على القيم الروحية.

---

[1] رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم (٦٣/٧) رقم الحديث: ٢٢٨٢.

[2] ينظر: توجيه طاقات الشباب أحمد محمد عسال ص ٥٧.

علاوة على أن بعض هؤلاء المشاهير ما يقعون في فعل بعض المنكرات والمعاصي الأمر الذي يؤدي إلى فتح التعريض لأنماط السلوك الانحرافي والذي يؤثر على القلب أهم مظاهر تحقيق القيم الروحية كما بينت في النقطة الأولى.

لذلك ينبغي على الإنسان أن يتخير الأفضل فيمن يتابعه عبر وسائل التواصل الاجتماعي وينتقيهم بشكل إيجابي، لأنه كما بينت متابعة المولغين في حب تحقيق القيم المادية يجعل الإنسان يحب تقليدهم من حيث لا يشعر، كما أنه يورث قلب الإنسان بطر النعمة وكفران الشكر لله على ما أولاه من نعم؛ لكونه يريد أن يحيا مثل حياتهم وهذا كله بسبب ما تطبعه عرض حياتهم الشخصية في عقول متابعيهم، والعكس متى ما انتقى من مشاهير التواصل الاجتماعي الذين حققوا التوازن بين الجوانب المادية والروحية كان ذلك أدعى لنماء القيم الروحية في نفوس متابعيهم.

٦-تعزيز دور المؤسسات التعليمية

طبيعة البشر تتنازعها قوتان، قوة مادية تدفعه على إشباع حاجاته بشكل مباشر وتنزعه كذلك للظلم والتعدي، وقوة روحية تشتاق للقرب من باريها وإرضائه سبحانه من يوم أن عرفته الروح في عالم الذر بصفاته الداعية للجلال والكمال، لهذا هي تشعر بحبه وتخاف من عقابه وغضبه، والقرآن الكريم والسنة المطهرة دعت إلى إشباع هذه الدوافع ضمن الحدود التي بينها الشرع دون إشراف أو تجاوز للحدود وبأساليب منظمة يرضاها الله سبحانه وتعالى وبتوسط واعتدال.[١]

فإلزام الإنسان نفسه على التمثل بالقيم الروحية والحرص على تنميتها أمر يحتاج إلى قوة نفسية عظيمة وإرادة قوية لا يتطرقها ضعف، تساعده على التحكم في أهوائه ودوافعه، وهي ما تسمى بمجاهدة النفس على تعلم الهدى، وهذا المفهوم من المفاهيم التي لابد أن تعنى به المؤسسات التعليمية والتثقيفية والتربوية في برامجها، بحيث تسعى سعيا حثيثا على تغذية عقول الشباب به وتعليمهم وسائل وسبل تحقيقه فهو خير معين لهم لمواجهة الانغماس في كثير من القيم المادية بحيث يكون همهم الأول المادة فقط، بل هذا الأمر يعينهم على التوازن بين مجارية القيم المادية والروحية على حد سواء.

٧-الاستحضار الدائم للآخرة والموت

الاستحضار الدائم لحقيقة هذه الحياة الدنيا من ملازمة مفارقتها أمر يعين الإنسان على بإلزام النفس لكثير من القيم الروحية في مجالات حياته، وهذا المبدأ

[١] ينظر: إحياء القيم الروحية في ظل جائحة كورونا أ.ندى بكري الزبير ص ٧ .

إنما هو مستقى من وصية أشرف الخلق وأخوفهم على أمته محمد صلى الله عليه وسلم كما في الحديث: ((أكثروا من ذكر هادم اللذات- الموت))[1].

فتذكر الموت من الأمور التي تحسن الصلة بين الإنسان وربه وتزيل شواغل الدنيا من القلب والفكر وهذا الأمر يزيد من نماء القيم الروحية في نفس الإنسان، فغياب مثل هذا الأمر وعدم استحضاره بشكل مستمر أوقع الكثير في الغفلة عن الآخرة فينسى أن هناك حياة أخرى أبدية سرمدية وأن هذه الحياة التي هي يعيشها هي معبر أو كأي عابر سبيل مر بها وذهب وهذا مصداق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لابن عمر: ((كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل...))[2]، ومن عرف قيمة الدنيا بالنسبة للآخرة لم تغره نعمة ولم يفزعه ابتلاء ونقص من هذه الحياة الدنيا قال عليه الصلاة والسلام: ((ما الدنيا في الآخرة إلا كما يدخل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بما ترجع))[3].

فغياب هذا الأمر عن الذهن يجعل الإنسان يجري فقط وراء تحقيق ملذاته الحسية فيطغى عنده جانب القيم المادية على جانب القيم الروحية[4]، وتجده يلهث فقط للحصول على جميع الإشباعات المادية وكأن هذه الحياة لا حياة بعدها فليعشها مرة واحدة بالولوج في جميع ميادين المادية، لذلك ينبغي على الإنسان أن يستحضر مثل هذا الأمر دائما ففيه حياة للقلب والروح ومن ثَمَّ اهتمام المرء بهذه القيم الروحية والتمسك بها.

٨-الإكثار من التأمل والتفكر في ملكوت الله

دعا الله عباده في كتاب الله للتفكر فيما حولهم لما لهذا التأمل من أثر نفسي مؤثر على الجوانب الروحية يقول تعالى:﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴾[5]

وفي هذا السياق أود ذكر مقترح قدمه أحد الأساتذة في علم النفس وهو البروفسور روبرت إيمونز[6] في اعتبار كون الروحانية نوعًا مستقلًا من العلوم الإنسانية،

---

[1] رواه الترمذي، كتاب الزهد، باب ماجاء في ذكر الموت (١٤١/٤) رقم الحديث: ٢٣٠٧.
[2] رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب قول النبي كن في الدنيا (٨٩/٨) رقم الحديث: ٦٤١٦.
[3] رواه الترمذي، كتاب الزهد، باب منه (١٥١/٤) رقم الحديث: ٢٣٢٣.
[4] ينظر: كيف تتحقق كرامة الإنسان و التضامن الإنساني من خلال مقتضى الإيمان د.محمد الرهيدي ص٦.
[5] [الذاريات آية ٢٠]
[6] عالم نفس أمريكي ولد في عام ١٩٥٨م، وعمل في جامعة كاليفورنيا (دافيس)، ورئيس تحرير مجلة «علم النفس الإيجابي»، وهو أحد أبرز العلماء الباحثين في مجال الشكر والامتنان، وعلم نفس الشخصية، وعلم النفس العاطفي، وعلم نفس الأديان.

وأن الذكاء الروحي في جوهره يعني قدرة الإنسان على مسايرة العالم من حوله واكتشاف معناه ومغزاه.

وهذا الأمر الذي اقترحه إنما هو في حقيقته موجود في الإسلام فالتأمل والتفكر في آيات الله من حولنا واكتشاف العبر التي تساعدنا بكيفية التصرف والتفكير والشعور فيمن حولنا هي أصل أصيل دعا له القرآن الكريم من آلاف السنين.

وتتضمّن تلك المسايرة -في الإسلام-التأمل في آيات الله من حولنا واستخلاص العِبر الّتي تطلعنا بكيفية التصرف والتفكير والشعور، فلو أخذنا مثلا ما يراه الإنسان من تغير الأشجار وتبدل الأحوال لها باختلاف الفصول وسقوط أوراقها لرأى في ذلك آية من آيات الله سبحانه ليدرك الإنسان بذلك طبيعة حياته المؤقتة وطبيعة هذه الحياة الدنيا الزائلة، وسهولة فقدان ما يملكه مما يشجع الإنسان على الوصول لأهداف أسمى في الحياة تجعله يعزز مثل هذه الجوانب الروحية في نفسه فيعلو عنده جانب القيم الروحية.[١]

٩- تفعيل دور الأسرة

من المظاهر المهمة والتي تساعد على تحقيق القيم الروحية في الإنسان في ظل هذه المتغيرات الحضارية هو مراعاة الأسرة تنشئة أبنائها على القيم الروحية منذ الصغر، فمتى ما تحملت الأسر الآن في واقع حياتنا المعاصر مسؤولية هذا الدور ساعد ذلك على نماء تلك القيم في نفوس أبنائها من الجيل القادم وأدى إلى تحقيق التوازن بين الإشباعات الروحية والمادية في نفوسهم.

وعلى النقيض كذلك أنه متى ما أهملت الأسرة في تنمية هذا الجانب في نفوس أبنائها فكان الهم عندهم فقط هو تحقيق الإشباع المادي لدى الأبناء وذلك بتوفير المسكن والملبس وأنواع الطعام والشراب والمركبات وفرص الرياضة واللعب والترفيه الالكتروني والتجاري وغيرها من الحاجات المادية فإن الأبناء يستمرئون هذه الإشباعات المادية دون أدني اهتمام منهم بالجوانب الروحية، فتجدهم يحرصون بشكل متزايد على الحصول على الإشباعات المادية التي تحقق في نظرهم مستويات عالية من الاستثارة الحسية، هذا الأمر ممكن يؤدي إلى حب تجربة الأبناء لأمور محرمة توقعهم في أمراض الشبهات وتجعلهم يكبرون على اتباع الهوى وممارسة الشهوات و التي قد تعمي الفطرة[٢].

ومن هنا نعلم أنه متى ما راعت كل أسرة هذا الأمر في نفوس أبنائها وسعت في محاولة تحقيق التوازن بين الإشباعات الروحية والمادية أدى ذلك إلى قوة ونماء القيم الروحية في نفوس أبنائها.

---

[١] ينظر: مقال الروحانيات الإسلامية والصحة العقلية د.زهير عبدالرحمن ، منشور في موقع يقين بتاريخ ٢٠١٨/٨/١٨، https://cutt.us/jFQOc

[٢] ينظر: الشباب والقيم د.إبراهيم رجب ص ٦٨.

المطلب الثاني

آثار القيم الروحية في الحياة البشرية

لا شك أن هذه القيم الروحية متى ما تمسك بها الإنسان أدى ذلك إلى تغيير جذري في مختلف مناشط حياته وأدى بالإنسان للخروج من حال الاضطراب والفوضى إلى حال التوازن والنظام وكان لذلك أثرا بالغا ينعكس كذلك على المجتمعات، والمتتبع للآثار سيجدها كثيرة لعل من أبرزها مايلي:

١-القيم الروحية في الإسلام توازن بين متطلبات الروح والبدن، فتهذب روح الإنسان من جهة دون أن تهمل متطلبات جسده من جهة أخرى، ومتى ما حققت التوازن كان ذلك معينا على نمو الإنسان من جميع جوانب شخصيته - الروحية والأخلاقية والنفسية والعقلية والجسمية - بشكل متوازن ومتكامل وسليم يؤدي إلى استقرار شخصيته.

٢-القيم الروحية متى ما تمسك بها المرء بها كانت سببا في زيادة إيمانه ومتى زاد عمق الإيمان في القلوب وسلطانه على النفوس كلما قويت مبادئه في مدافعة القيم المادية، وعمت آثارها في حياة المجتمعات البشرية.

٣-الأخذ بالقيم الروحية يساعد على تقليل حالات الانتحار والإلحاد في المجتمعات والذي من أسبابه وجود الفراغ الروحي، والعمل بهذه القيم يسد جوانب النقص والشعث الذي يجده الملحد في نفسه فيقوى عنده جانب الأمان الروحي والمناعة النفسية وذلك من خلال توسيع الشعور العقدي الذي يعزز الجانب الروحي عند الإنسان.

٤-القيم الروحية تعين المسلم في دفع البلاء وحفظ الصحة العقلية المثالية، فإن التحلي بالقيم الروحية هو ما يحقق للإنسان الأمن النفسي عند رضاه بالقضاء والقدر فيمده بالصبر على البلاء وإحسان الظن بربه، فيعود الإنسان إلى ربه تائبا مستغفرا وداعيا أن يصرف عنه البلاء والوباء.

٥-القيم الروحية لها دور إيجابي على التنمية الاقتصادية في المجتمعات الحضارية، وتحافظ على موارد المجتمع.

٦-القيم الروحية لها دور في التواصل الإنساني وتحقيق التقارب والوئام والوحدة والتضامن بين البشر؛ لأنها تهذب الذات من أدوائها كالطمع والجشع والظلم والحسد وغيرها مما تفتت الوحدة، وتقوِّم السلوك وتثبت أواصر المجتمعات.

٧-القيم الروحية في الإسلام قوة للمسلمين وغيابها يسبب ضعف في صفوفهم، فالإغراق في تحقيق القيم المادية يؤدي إلى انزواء القيم الروحية وجمودها، ومتى جمدت لم تعد لها صفة القيمة الجوهرية لأنها تحددت مع التجميد،

ومتى مضى الناس مقلدين فقد أغلقوا العقول واستناموا لتفكير غيرهم وذهب عنهم الوعي بأنفسهم.

٨-القيم الروحية في الإسلام تحسر داء الهوى والتشهي وتنقذ النفس البشرية من أدران الغريزة بل إنها تسعى إلى تحقيق توازنها.

٩-القيم الروحية هي أحد أسباب علاج الأمراض النفسية والتي هي أخطر من الأمراض الجسدية علاجا وعاقبة، ذلك أنها قد تؤدي بالإنسان إلى الهلاك.

١٠-تساعد القيم الروحية على تعزيز الرقابة الذاتية، وتحقيق الانضباط في نفوس الأفراد والمجتمعات الأمر الذي يعينهم على التمثل بالمثل العليا في التعامل مع الكون من حولهم.[١]

ختاما لابد أن يعلم أنه لا سبيل للارتقاء بالحضارات إلا من خلال قيامها على فلسفة روحية قيمية ترى تحقيق الأخلاق من أعظم أهدافها للوصول إلى التحضر، وتعمل بإخلاص على إبدال الارتقاء المادي إلى ارتقاء خلقي ليصبح الواقع واثقا بالروح.

وهذا هو إسلامنا الحقيقي إنما يجمع بين الجانب المادي والجانب الروحي في تكامل وثنائية رائعة تعين على تحقق القوة والنصر والتمكين متى ما حققت التوازن في التعامل معهما، ومن هنا تأتي أهمية تعزيز القيم الروحية في الحضارة الإسلامية والدعوة لإحيائها من جديد.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين

[١] ينظر: القيم الروحية في الإسلام د.محمد عبدالوهاب ص٧-٨-٢١، منهج الاحتساب على الإلحاد وتطبيقاته في المملكة العربية السعودية د.أماني محمد العتيبي ص٧٠، أثر الربط بين المصالح المادية والقيم الروحية في التنمية الاقتصادية د.بابكر عبدالله داوود ص٢٩٢، القيم الروحية والتواصل الإنساني د.عبدالقادر النفاتي ص ٣٠٢.

نتائج البحث:

١.أن المراد بالقيم الروحية هي التي تخاطب باطن الإنسان وكيانه الداخلي، وتنظم علاقته بالله تعالى وتحدد صلته به سبحانه وتعالى فتسمو بالروح وترتقي مما يسهم ذلك في تنظيم علاقته بنفسه ومجتمعه.

٢.أن نجاح المجتمعات الحضارية واستمراريتها إنما يكمن في التوازن بين الأخذ بين القيم الروحية والقيم المادية دون أن يغلب أحدهما على الآخر.

٣.أن التمسك بالقيم الروحية وتحقيقها له الأثر البالغ في التنمية الصحية والنفسية والإنسانية والاقتصادية والحضارية.

٤.أن إحياء القيم الروحية في النفوس يتحقق بعدة أمور ذكرت بالتفصيل خلال هذا البحث.

توصيات البحث:

١-محاولة تعزيز دراسة القيم الروحية وسبل تحقيقها في مناهج التعليم الدراسية - المدارس والجامعات، وأن نملأ بها قلوب وعقول شبابنا، فهي سبب لحفظهم وسبب لقوتهم وهي صانعة الحضارة لهم، إذا ما غرسناها فيهم وتعهدناهم بالرعاية والعناية.

٢-وضع برامج تدريبية وعملية للقيم الروحية لتطبيقها في أوساط المجتمعات الإسلامية لتوعية المجتمع بخطورة اندثار مثل هذه القيم في النفوس.

المراجع:

١-إبراهيم عبدالرحمن رجب، الشباب والقيم، بحث منشور في مجلة المسلم المعاصر، الناشر جمعية المسلم المعاصر، المجلد ٢٦، العدد ١٠٤، ٢٠٠٢م .

٢-أبو حامد محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت.

أبو محمد محمود بن أحمد الدين العينى، عمدة القاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠١٠م.

٣-أحمد محمد عسال، توجيه طاقات الشباب، بحث منشور في ندوة تربية الشباب المسلم ودور الجامعات فيها ، الناشر الجامعة الإسلامية عام ١٩٨٦م .

٤-أسماء علي فضل، أثر العبادة التربوي في تكوين الشخصية وتحديد السلوك، رسالة ماجستير من جامعة أم القرى قسم كلية التربية، نوقشت في عام ١٩٨٥م.

٥-أماني بنت محمد بن سيف العتيبي، منهج الاحتساب على الإلحاد وتطبيقاته في المملكة العربية السعودية، رسالة دكتوراه، المعهد العالي للدعوة والاحتساب، جامعة الإمام، الرياض ١٤٣٨هـ .

٦-بابكر عبدالله داوود، أثر الربط بين المصالح المادية والقيم الروحية في الإسلام على التنمية الاقتصادية: رسالة دكتوراه، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية السودان ٢٠٠٩م .

٧-جميل صليبيا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب الثقافي.

٨-زهير عبدالرحمن، الروحانيات الإسلامية والصحة العقلية، مقال منشور في موقع يقين بتاريخ ٢٠١٨/٨/١٨م.

٩-شبكشي رضوان، القيم الروحية وتأثيرها على المجتمعات المهنية، مقال منشور في جريدة عكاظ، الاثنين ٢/٩/ ٢٠٠٩م .

١٠-صالح بن حميد، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، دار الوسيلة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م .

١١-عبدالقادر النفاتي، القيم الروحية والتواصل الإنساني، بحث منشور في مجلة الجامعة الأسمرية الإسلامية العدد الحادي عشر ليبيا ٢٠٠٩م.

١٢-فؤاد زكريا ، حكمة الغرب لبرتراند رسل، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٩٠م.

١٣-ماهر أحمد السوسي، أثر العبادات في تعزيز القيم والأخلاق الفاضلة في نفس المسلم، مقال منشور في موقع الدكتور بتاريخ ٢٠١١/٧/١٤م.

١٣- محمد الرهيدي،كيف تتحقق كرامة الإنسان و التضامن الإنساني من خلال مقتضى الإيمان، بحث مقدم لمركز الدوحة الدولي لحوار الأديان المؤتمر السابع (التضامن الإنساني) في الفترة ما بين ٢٠-٢٢/١٠/٢٠١٠م.

١٤-محمد العرب وعبدالقادر مهاوات، دور القيم الروحية في بناء الأمم والحضارات حيثياتها -دولة المرابطين أنموذجا –، مجلة الشهاب،المجلد الثاني ١٤٣٩ هـ .

١٥-محمد بن علي الحنفي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، إشراف ومراجعة: د. رفيق العجم تحقيق: د. علي دحروج نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني الناشر: مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت الطبعة الأولى - ١٩٩٦م.

١٦-محمد حلمي عبدالوهاب،جدلية الدين والقيم، بحث منشور في مجلة الحياة الطيبة العدد ٢٤ ، عام ٢٠١٢م .

١٧-محمد حلمي، أزمة القيم في العالم المعاصر، مقال منشور في موقع إسلام أون لاين بتاريخ ٢٠١٧/٠٥/١٦م.

١٨-محمد سليم العوا ، الحضارة الحديثة وأثرها.

١٩-محمد عبدالوهاب حلمي، القيم الروحية في الإسلام، الناشر: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت الطبعة الأولى ٢٠١٢م.

٢٠-محمد عمارة، العطاء الحضاري للإسلام، دار السلام للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ٢٠١٢م .

٢٢-محمد يوسف موسى، القيم الروحية وأثرها في الحياة، بحث محكم منشور في المجلة، الناشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر العدد الثالث، ١٩٥٧م

٢٣-منال أبو قمر، البناء الفكري في الحديث النبوي، رسالة دكتوراة من الجامعة الأردنية ، كلية الدراسات العليا ، عمان ٢٠١٤م.

٢٤-الموسوعة العربية تأليف مجموعة من العلماء والباحثين، الناشر: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ .

٢٥-ندى بكري الزبير، إحياء القيم الروحية في ظل جائحة كورونا، بحث منشور في مجلة الحكمة العالمية للدراسات الإنسانية والعلوم الإنسانية الرقم ٣، العدد ٣أغسطس ٢٠٢٠، ماليزيا .